الفصل السابع

الفيلق اليهودي

obeikandl.com

obeikandl.com

يعتبر موضوع الفيلق اليهودى ، أحد الموضوعات الحساسة والحرجة عند الحديث أو الكتابة عن النشاط الصهيونى فى مصر قبل قيام الدولة الإسرائيلية ، وذلك لأكثر من اعتبار وأكثر من زاوية . الاعتبار الأول ، هو أن هذا الفيلق كان أول إعلان صريح ومكشوف عن التشكيل العسكرى الصهيونى ، وهو أمر كان له ما بعده فى مسار تاريخ المنطقة بشكل عام وفلسطين بشكل خاص ،وأيضا هذا الأمر كان محملاً بدلالات وإرهاصات خطيرة ولكنه كان للأسف بعيد عن الإدراك والوعى السياسى والمجتمعى فى ذلك الوقت . الاعتبار الثانى ، هو أن هذا الفيلق كان النواة الأولى والقاعدة الأولية والتى تم البناء عليها وهيكلة وتشكيل العصابات الصهيونية فيما بعد ، « الهاجاناة » وما تفرع عنها من عصابات « شتيرن » و « وأرجون زفاى » والتى مثلت الذراع العسكرى للصهيونية والتى أوكلت إليها تنفيذ أكبر واقعة فى تاريخ المنطقة ، وهى زرع إسرائيل وضياع فلسطين . الاعتبار الثالث ، أن هذا الفيلق ، كان خط البداية لأكبر معضلة واجهت الكيانات السياسية العربية ، وما زالت تواجهها اليوم ومستقبلاً ، وهى القوة العسكرية الإسرائلية المتنامية والتى لا سبيل لمجاراتها حتى الآن ولأجل غير معلوم . الاعتبار الرابع ، أن هذا الفيلق مثل عنوان أو جملة افتتاحيه باللون الأحمر لأكبر مأزق سياسى يمكن أن يواجه أى زعيم عربى يفكر فى مناهضة ومقارعة إسرائيل ووضع مشروع لاسترداد فلسطين والقدس الشريف فى المستقبل . وقد اكتوى زعيم عربى كبير (جمال عبد الناصر) ومعه مصر والعرب جميعاً فى الأمس القريب بنيران هذه القوة الصهيونية ، والتى للأسف العميق تم إطلاق شرارتها من فوق التراب المصرى فى بدايات القرن العشرين . الاعتبار الخامس ، وهو الحساب التاريخى الذى لا يرحم ولا يجامل أحداً ، كيف أن عهد بأكمله ودولة بكاملها بكل ما تحويه من حكام وأجهزة ومؤسسات وقادة سياسين وأحزاب ونخبة سياسية وثقافية ، لم تقم بدورها أو مسئولياتها

التاريخية والطبيعية لدرء هذا الخطر ، ومنع هذا التهديد أو القراءة الرشيدة لمعناه ؟ ولو كان هذا النشاط سرياً ، ولو كان هذا الفيلق تنظيماً عسكرياً يعمل تحت الأرض لالتمسنا لهم العذر ، رغم أنه لا يجوز فى عالم السياسة والأمن ، ولخففنا حيثيات الإدانة والمساءلة ، رغم أن مقدرات الأمم والشعوب لا تحتمل أى تخفيف ولا تقبل أى تهوين أو تفريط .

ويرجع تأسيس الفيلق اليهودى إلى أحداث وتفاعلات الحرب العالمية الأولى . وقد تبنى فكرة التكوين العسكرى يهوديان روسيان هما فلا دمير جابوتنسكى ، و « جوزيف ترمبلدور »[1] .

وقد بدأ جابوتنسكى بالإسكندرية ، بتشكيل قوة بوليسية لحفظ النظام بين المهاجرين اليهود الجدد ، والذين تدفقوا بإعداد كبيرة من روسيا مع قيام الحرب يريدون الذهاب إلى فلسطين ، ولكن لأن فلسطين فى ذلك الوقت تابعة لتركيا ، وتركيا هى أحد أطراف الحرب . فقد تم تحويل وجهتهم إلى الإسكندرية بناء على أوامر الوكالة اليهودية . والتى كلفت الطائفة اليهودية بمصر بتدبير احتياجات كل هؤلاء المهاجرين ، وأيضا كان هناك جانب آخر من الهجرة ، عندما قام الوالى العثمانى فى فلسطين عام ١٩١٥م ، بالتضييق على أنشطة المستوطنين اليهود فى فلسطين ومنع الكتابة باللغة العبرية وتجريد أسلحة المستوطنات باعتبار ذلك ضمن الإجراءات الأمنية الوقائية أثناء الحرب . وقد دفع ذلك اليهود الصهانية إلى الهجرة من فلسطين إلى مصر وقامت السلطات المصرية بالترحيب بهم ممثلة فى السلطان « حسين كامل » ورئيس الوزراء المصرى « حسين رشدى » آنذاك ، بدعوى أن هذه اعتبارات إنسانية تجاه هؤلاء اليهود ، وبلغ عدد هؤلاء اليهود المهاجرين ١١٢٧٧ شخصًا ، وزيادة فى الكرم الحاتمى تقرر صرف مبلغ ٨٠ جنيه لكل فرد تم زيادتها إلى

(1) حسنى ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٧٥ وما بعدها.

إلى ١٠٠ جنيه وهو مبلغ كبير بالنسبة لذلك العهد[١] وهكذا تم التنسيق بين قيادة الطائفة اليهودية والسلطات البريطانية مع السلطات المصرية لكى يتم الدخول إلى مصر بشكل رسمى ، وتم إقامة معسكر لهم بالقبارى . ويلاحظ هنا أن الأمر لم يقتصر على معسكرات للإيواء المؤقت ، ولكن تم تطويره وتفعيله سريعاً ، لكى يتحول إلى دورات وأنشطة مكثفة فى اللغة العبرية والتاريخ اليهودى ، ثم الأخطر وهو التدريب والنشاط العسكرى.

وبعد تدريبات شاقة بالإسكندرية ، ذهب اليهود بعد تقسيمهم إلى أربع فرق للانضمام لقوات الجيش البريطانى تحت قيادة الجنرال اللنبى للحرب فى فلسطين فى مارس ١٩١٨م[٢]. واستمرت هذه الفرق فى الاستعراض فى شوارع الإسكندرية ، وكانت تخترق الشوارع من مراكز التدريب فى الورديان وحتى شارع النبى دانيال ، لكى تحصل على البركة من المعبد اليهودى وكان استقبال اليهود فى الإسكندرية لهم حماسياً ، خصوصاً ، أن جزء من هذه الوحدات ، كان يضم أفرادامن تنظيم « الهاجاناة » التى تكونت فى لندن فى ذلك الوقت[٣] وتسجل الوثائق البريطانية ، أن بداية هذا الأمر ، جات فى عام ١٩١٦م ، فى شهر يوليو ، عندما قابل « موسى قطاوى » قائد الطائفة اليهودية ، الجنرال « ماكسويل » القائد العام للقوات البريطانية فى مصر . وطلب منه السماح بتسجيل وتشكيل كتائب يهودية ، لكى تلتحق بجيش الجنرال اللنبى ، عند دخول المعارك ضد الأتراك فى فلسطين والشام . وقد وافق الجنرال « ماكسويل » على ذلك وأعطاهم الفرصة الكاملة للتدريب والتنظيم ، وأكثر من ذلك سمح لهم ، أن يرتدوا قبعات عليها نجمة داوود ، لكى

(1)غنيم ، وأبو كف ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢١ – ٢٢.

(2)حسنى ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٧٩ وما بعدها.

(3)المصدر نفسه ،ص٢.

يكون واضحا أنها كتائب يهودية [1] ويلاحظ فى هذا الشأن ، أن الجنرال اللنبى هو الذى قال كلمته المشهورة عند دخوله القدس عام ١٩١٧م : « الآن انتهت الحروب الصليبية » ، أى أن القضية موصولة عند هؤلاء القوم سياسياً وتاريخياً ودينياً . والحقيقة أن تجربة الفيلق اليهودى جاءت كترجمة لتصور أو رؤية فى ذهن فلا ديمير جابوتنسكى (١٨٨٠ – ١٩٤٠م) ، وهو الصحفى الصهيونى ذو الأصل الروسى واحد الشخصيات التاريخية فى الحركة الصهيونية والذى ابتدع مساراً حركياً خاص به وسمى « الصهيونية التصحيحية » أو « الصهيونية التحريفية » كما يسميها البعض . وكان أبرز ملامح فكره ومساره الحركى هو ضرورة تبنى العنف وبناء القوة من أجل الوصول إلى الهدف الصهيونى وكان على خلاف مع الصهيونية الرسمية [2] ما يهمنا فى هذا المقام هو قدوم جابوتنسكى إلى الإسكندرية ابان الحرب العالمية الأولى ، وبادر بتشكيل قوة بوليس لحفظ النظام فى معسكر القبارى عرفت باسم « النوطريم » أى الشرطة.. وذلك ليمنع نشوب صراع أو احتكاكات بين الإشكناز والسفارديم . أيضاً وجدها فرصة سانحة لإخراج تصوره نحو تشكيل قوة عسكرية تعمل إلى جانب الحلفاء.

وفى نفس الوقت فان تشكيل هذه القوة سوف يؤدى إلى انشغال اليهود فى معسكرات الايواء نحو هدف أكبر بدلاً من الاحتكاكات بينهم فى أمور طائفية أو عرقية ، وبادر جابوتنسكى ومعه صديقه جوزيف ترومبلدور ، وهو ضابط روسى متقاعد بالاجتماع بمجموعة من اليهود فى بيت أحد اليهود المصريين يدعى مارجوليس ، يعمل مندوباً لإحدى شركات البترول فى مصر . وقدم جابوتنسكى خلال هذا الاجتماع تصوره عن « الفيلق اليهودى Jewish - leigon » وتمت

(1) هيكل ،المفاوضات، مصدر سبق ذكره ، ص ١٥٣.

(2) عبد الظاهر ،الصهيونية...، مصدر سبق ذكره ، ص ١٠٢.

الموافقة على اقتراحه بأغلبية خمسة أصوات ضد صوتين وامتناع صوتين عن التصويب ، وفيما يلى نص الترجمة العربية لقرار تشكيل الفيلق بخط يد جابوتنسكى بالعبرية [1].

قرار تشكيل الكتيبة فى الاسكندرية

تفاصيل الاجتماع الذى عقد فى يوم ٢٧ آذار (مارس) ١٩١٥

فى قصر السيد مردخاى مرجيليت بالإسكندرية

الحاضرون : مرجيليت – ليفسون – زئف جلوسكين – زئف جابو تنسكى – جورووديسكى – دكتور فايتس – أطاطينجر – هرارى قابلين وترمبلدور .

وبحث الحاضرون :

موضوع تشكيل كتيبة من المتطوعين العبريين بالإسكندرية من مغتربى فلسطين ، وتضع نفسها تحت امرة حكومة إنجلترا والإشتراك فى الدفاع عن أرض إسرائيل (فلسطين) .

وقد نال هذا المشروع رضا المجتمعين ، ولذلك أعربوا جميعاً عن شكهم فى أن يجدوا بين المغتربين عدداً كافياً من هؤلاء المتطوعين وقد أوضح السيد قابلن الخطر المحدق الذى سيترتب على هذا الأمر للمقيمين فى أوروبا وذكر الدكتور فايتس أنه يجب أن يتم تجميع كتيبة (فيلق) متطوعين من جميع مغتربى العالم ، وذلك بعمل الدعاية فى جميع أنحاء العالم وعدم الاكتفاء بمغتربى فلسطين فقط . وطرحوا المسألة للبحث وعند الاقتراع صوت كل من السادة : أطاطينجر – جلوسكين – جابوتنسكى – مرجليت – ترومبلدبور بالموافقة .

وصوت السادة : فاليس ويلفنون وقابلن بالرفض ، ولم يبد جروديسكى رأيه .

(1) نقلاً عن عبد الظاهر ،يهود...، مصدر سبق ذكره ، ص١٩٧-١٩٨ .

وتقرر أن تشكل كتيبة متطوعين من مغتربى فلسطين ،على أن تكون تحت إمرة حكومة انجلترا والاشتراك فى الدفاع عن أوروبا وقد اختير كل من السادة جلوسكن – جابوتنسكى وترومبلدور لرئاسة اللجنة التأسيسية للكتيبة بصفة مؤقتة :

توقيع :مرجليت توقيع : ليبسون

توقيع :زئف جلوسكين توقيع: دكتور فايتس

توقيع :جابوتنسكيتوقيع : ترومبلدون

توقيع :قابلنتوقيع: اطاطيمجر

وقد بادر خمسمائه يهودى بتسجيل أنفسهم للانضمام للفيلق منهم ٣٥٠ يهودياً من المهاجرين ، و١٥٠ من يهود مصر ، وقد تشكل وفد منهم لمقابلة الجنرال البريطانى «ماكسويل » قائد القوات البريطانية فى مصر ، والذى اقترح عليهم فى البداية اقتراحاً غريباً ، وهو أن يتم تشكيل فرقة لنقل البغال لمساعدة البريطانيين فى قتالهم فى شبة جزيرة جاليبولى (Gallipli) وعين لهم أحد الضباط وهو العقيد جون هنرى باترسون لقيادة هذه القوة ، والذى اشتهر عنه اهتمامه بدراسة العهد القديم والتاريخ اليهودى[1] وقد احتج جابوتنسكى باعتبار « لواء نقل الحمير » يعتبر إهانة لليهود ، ولكن ترمبلدور وبقية اليهود الآخرين وافقوا على هذا الاقتراح وهكذا تشكلت فرقة نقل البغال الصهيونية بجهود كلاً من باترسون وترومبلدور (Zion Mule Conps) وتدربت هذه الفرقة لمدة أسبوعين وقيل : إن البعض منها لم يتدرب قط ، ولكن انضم إليها بعض أبناء الأثرياء اليهود مثل أفرايم وكلود رولو ، وسافرت هذه الفرقة إلى شبة جزيرة جاليبولى فى ١٥ أبريل ١٩١٥م . وكان

(1)أنظر هذا المرجع بالانجليزية:

Payyerson، john ، with the Zionists in gallpli، landon ، huchinson ، 1921، pp. 31 – 34 .

فى وداعها حاخام الإسكندرية « ديلابيرجولا » ومعه كبار رجال الطائفة اليهودية بالإسكندرية[1] .

وبقيت هذه الكتيبة فى جاليبولى حتى مارس ١٩١٦م ، ولكنها لم تحقق نتائج كبيرة ، ومنيت بالعديد من الهزائم نتيجة ضعف القيادة ، وضعف الانضباط وعدم التدريب الجيد . فى تلك الأثناء جاب جابوتنسكى أوروبا حتى استطاع فى النهاية الحصول على موافقة الحكومة البريطانية لتشكيل الفيلق اليهودى بشكله الصحيح ، لكى يشارك فى جبهة فلسطين . وبالفعل تكونت الكتيبة ٣٢ من اليهود البريطانيين والمتطوعين من اليهود فى الجيش الإنجليزى .

وتولى تدريبها العقيد باترسون وقيادتها حسب تكليف وزارة الحربية البريطانية . ووصلت الكتيبة إلى الإسكندرية فى ٢٨ من فبراير عام ١٩١٨م ، وسط احتفالات من جانب اليهود المصريين والذين قابلوها باهتمام بالغ وعندما وصلت الكتيبة إلى القاهرة قابلتها احتفالات مماثلة نظمتها الطائفة اليهودية بالقاهرة وسط بهجة عارمة من أكثر من ٢٠٠٠ يهودى ظلوا يحيطونها أثناء اختراقها لشوارع القاهرة[2] أيضاً تشكلت الكتيبة ٣٩ من يهود أمريكا بجهود من « ديفيد جوريون » و«إسحاق بن زفى » وتولى قيادتها المقدم البريطانى « العازر مارجولين » ، وهكذا وصلت الكتيبتان ٣٨ ، ٣٩ إلى فلسطين فى ٥ من يوليو ١٩١٨م .

وتمكن فى النهاية جابوتنسكى مع باترسون من إقناع الجنرال اللبنى القائد العسكرى لفلسطين من فتح مكاتب للتجنيد فى فلسطين بعد تردد من جانبه ، وهكذا تم تشكيل الكتيبة ٤٠ حملة بنادق ملكية من يهود فلسطين بالإضافة إلى عدد ١٢٠ من جنود فرقة البغال واليهود المصريين وظلت هذه الكتيبة تتدرب فى

(1) Ibid.p, 40

(2) Ibid.p.68 .

معكسرات الجيش الإنجلزى بالتل الكبير بمحافظة الإسماعيلية حالياً[1]. ويلاحظ هنا أن بعض المؤرخين اليهود قد بالغوا فى الدور الذى قام به الفيلق اليهودى فى الحرب فى فلسطين بجوار قوات الحلفاء رغم أن هذا الدور كان محدوداً، لأن الكتيبتين ٣٨، ٣٩ وصلتا إلى فلسطين فى منتصف يوليو عام ١٩١٨م وتمركزت كلا منهما فى وادى الأردن وفى هذا الوقت كانت العمليات العسكرية قد هدأت فى فلسطين وقاربت الحرب على الانتهاء. أما الكتيبة ٤٠ بنادق ملكية فلم تشترك فى القتال أصلاً لأنها كانت ما تزال فى معسكرات التدريب فى مصر. وبعيداً عن مبالغات المؤرخين اليهود، فيمكن القول: ان الحقيقة الموضوعية تقول أنه بالرغم من صريح الفيلق اليهودى إلا أن كوادره كانت هى النواة فى تشكيل عصابات الهاجاناه عام ١٩٢٠ على يد جابوتنسكى أيضا وما تفرع عنها ذلك من عصابات إرهابية مثل « اشتيرن » « ارجون زفاى » والتى مارست الإجرام الصهيونى على اوسع نطاق. والحقيقة الموضوعية تقول أيضا أن هذا الفيلق، تم تكوينه بدعم ومساندة من السلطات البريطانية ومباركة من اليهود المصريين وترحيب من السلطات المصرية، وأن وحداته كانت تجوب شوارع القاهرة والإسكندرية وسط احتفالات يهودية صاخبة وإذا علمنا أن ذلك كله تم بعد صدور وعد بلفور عام ١٩١٧م لأدركنا أننا أمام شعوب مغيبة، وأمام كيانات سياسية ومجتمعات مسلوبة الوعى والإرادة. هل كل هذا سببه الاحتلال الأجنبى أم أن المسألة أكبر وتتعدى واقع الاحتلال؟ الحقيقة أن الاحتلال كان يواجه الحركة الوطنية المصرية والتى بدأها مصطفى كامل ومحمد فريد، واستكملها سعد زغلول والوفد. وبالنظر

(1) انظر أيضاً:

Learsi، ruffus، fulfillment the epic story of amin con zionsm . Detroit، wayne state university ، press، 1961 ، P. 204.

تحليلياً إلى الحركة الوطنية المصرية ، يمكن التفرقة بين مدرستين الأولى مدرسة مصطفى كامل والتى كانت تنظر إلى الوطنية المصرية كدائرة لها ارتباطها الطبيعى بالدولة العلية ، ومجالها الحيوى فى دول الجوار العربى والإسلامى . والمدرسة الثانية هى مدرسة سعد زغلول ورفاقه ، والتى كانت ترفع شعار « مصر للمصريين » . وكان هذا اتجاهاً عاماً فكرياً وسياسياً موجوداً على الساحة واشهر المنظرين له « أحمد لطفى السيد» بعبارة أخرى ، هذه المدرسة تنظر إلى الوطنية المصرية بحيث لا تتعدى أعتاب مصر وهذا معناه تلقائياً انعزال مصر بشأنها الخاص عن محيطها الجغرافى ومجالها الحيوى وارتباطاتها التاريخية وهذا التوقيت بالذات فى الحرب العالمية الأولى ، كان يشهد توارى وذبول مدرسة مصطفى كامل وبروز مدرسة سعد زغلول ولطفى السيد ، بالإضافة إلى ظروف الحرب وسطوة الاحتلال كل ذلك جعل من الهم الوطنى الخاص وقضية الاستقلال هى الأولوية الأولى وما عداها أمور ثانوية قليلة الأهمية وليس أدل على تأثير مدرسة سعد زغلول فى السياسة المصرية من واقعة شهيرة ، عندما طلب عبد الرحمن عزام باشا أول أمين عام لجامعة الدول العربية من مصطفى النحاس زعيم الوفد ورئيس الوزراء فى ذلك ، أن تولى مصر اهتماماً بالدول العربية فقال له : « صفر + صفر يساوى كام يا عزام »[1] وبالطبع فى التقييم النهائى لكلاً من المدرستين فى الوطنية المصرية ، نجد أن المدرسة الأولى أفضل بكثير من المدرسة الثانية .

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ، جاءت فترة ما بين الحربين ، وواصل النفوذ اليهودى صعوده فى مصر ، بفضل الدور الهام والمؤثر الذى قام به رئيس الطائفة اليهودية الحاخام « حاييم ناحوم » أفندى ، والذى تم التعرض له فى موضع آخر من هذا الكتاب . وجاءت الحرب العالمية الثانية ، ودخل العالم فى آتون الحرب .

ونتيجة أحداث الحرب فى ألمانيا وأوروبا ، عادت أيضاً ، عمليات الهجرة

(1) هيكل ،المفاوضات...، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٥ .

اليهودية إلى مصر ، ومثلما حدث فى الحرب الأولى ، تجاوزت الأمور معسكرات الإيواء المؤقت إلى أنشطة مكثفة فى الإعداد والتأهيل الثقافى والعقائدى لليهود فى اللغة العبرية والتاريخ اليهودى ، والتدريب العسكرى ، وأعيد تكوين الفيلق اليهودى ، وهذه المرة ، انتظم إليه أعداد كبيرة من اليهود القادمين من أوروبا . واتخذ الفيلق اليهودى معسكرات تدريبة فى منطقة برج العرب بالقرب من الإسكندرية . وتولى تدريب الفيلق اليهودى ، واحد من أكبر الخبراء البريطانيين فى الحروب الغير تقليدية « حرب المدن وحرب العصابات) وهو الكولونيل « أورد وينجت » وتم ممارسة كافة الأنشطة الصهيونية ، تقديم كافة أشكال الدعم لجنود المعسكرات تحت ستار تقديم خدمات الترفيه لجنود الحلفاء . ومرة أخرى وصلت الأمور إلى حد المهزلة وخرجت عن نطاق المعقول ، ووصلت إلى حد يصعب تصوره ، حيث أعطت إحدى الأميرات المصريات ، وهى الأميرة « نازلى حليم » مزرعتها فى المنصورية ، لتكون معسكراً لتدريب شباب هاشومير هاتسعير ، وهى حركة حراس المستعمرات الاستيطانية فى فلسطين[1] . أما الفترة القصيرة والاستثنائية ، والتى توقف فيها النشاط والجهد الصهيونى فى مصر ، فكانت الفترة التى اقتربت فيها قوات روميل من العلمين . وبدأ فى ذلك الوقت للعيان ، عدم قدرة قوات الحلفاء على صدها . وأيضا نتيجة مناهضة الحركة الوطنية المصرية للاحتلال الإنجليزي ، أكتفت الطائرات الألمانية بقصف الإسكندرية فقط . وبالطبع سادت حالة من الرعب والفزع بين اليهود ، وقام عدد كبير منهم ببيع أملاكه إلى أصدقائهم المصريين بثمن بخس ، حتى يمكنهم الهرب إلى السودان أو جنوب أفريقيا ولكن الفشل الغير متوقع لحملة روميل ، جعلهم يعودون سريعاً ، وبالطبع لم يستطيعوا أن يستردوا ما باعوه ، ولكنهم كانوا أكثر حماساً ورغبة فى مواصلة أنشطتهم الصهيونية .

(1) المصدر نفسه ، ص ١٥٧ .